بلاغة الفصل والوصل في كتاب الله
سورة إبراهيم انموذجاً

د. سناء فضل حسن عباس
أستاذ بجامعة البلقاء بالأردن

مقدمة البحث

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين... وبعد فإن الفصل والوصل من أهم الموضوعات في المباحث البلاغية، وقد كان له شأن، عظيم عند البلغاء ، حيث سئل أحدهم: ما البلاغة ؟ فقال: معرفة الفصل والوصل. ومن هنا وجدنا عبد القاهر الجرجاني يكشف لنا عن أكمام أستار هذا الموضوع، ويبين كثيرا من أسراره، وقد حاز – رحمه الله- قصب السبق في حديثه عن الفصل والوصل، وبما جاء به من أمثلة عملية كثيرة من كتاب الله تعال وسنة نبيه وكلام البلغاء والشعراء.

ويقينا إن الفصل والوصل من أهم القضايا التي ترجع إلى الذوق البياني؛ لما له من صلة وثيقة بالمعنى المراد، فمتى تعطف الجمل بعضها على بعض ؟ ومتى يترك العطف ؟ ومتى تستأنف الجمل؟ وقد يخل العطف بالمعنى ، وقد يخل ترك العطف بالمعنى ، هذا كله من أسرار البلاغة ، كما يقول عبد القاهر رحمه الله.

إن معرفة الفصل والوصل من الأمور الضرورية في لغة القرآن الكريم؛ إذ تظهر من خلاله الكثير من المعاني والعبر والعظات، وسيظهر هذا واضحا جليا من خلال هذه الدراسة.

ومن هنا ارتأيت أن أتحدث عن بلاغة الفصل والوصل في هذا البحث، على أن تكون هذه الدراسة تطبيقية، ووقع الاختيار على سورة إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وسميته (بلاغة الفصل والوصل في كتاب الله ، سورة إبراهيم أنموذجا) مستعينةً بالله تعالى ، ثم بما ورد في أمهات الكتب التفسيرية والبلاغية.

وسيكون البحث - إن شاء الله - في تمهيد ، أتحدث فيه عن معنى الفصل والوصل ، وأهميتهما ومواطن كل منهما ، وفصلين:

الأول: بلاغة الوصل في سورة إبراهيم.

الثاني: بلاغة الفصل في السورة الكريمة.

والله ولي التوفيق، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

تمهيد

الفصل والوصل معناهما، وأهميتهما وأسبابهما

الفصل والوصل لغة:

(قال ابن فارس: الفاء والصاد واللام كلمة صحيحة تدل على تمييز الشيء من الشيء، وإبانته عنه، يقال فصلت الشيء فصلا... والمِفصل اللسان لأن به تفصل الأمور وتميز، والمفاصل: مفاصل العظام، المِفصل: ما بين الجبلين والجمع مفاصل[1].

قال في معنى الوصل: "الواو والصاد واللام أصل واحد يدل على ضم شيء إلى شيء حتى يَعْلَقَهُ، ووصلته به وصلا، والوصل ضد الهجران، ومَوْصِل البعير: ما بين عجزه وفخذه". ومن الباب الوصيلة: العمارة، والخِصْب؛ لأنها تصل الناس بعضهم ببعض. [2]

ومما مر يظهر لنا أن مادة الفصل تدور على الانقطاع والتباين بين الشيئين، ومادة الوصل تدور على الجمع والضم، والربط بين شيئين بينهما نوع من التقارب.

إن مدلول الفصل والوصل قد ورد في علوم كثيرة، منها علم الخط العربي، والنحو والقراءات القرآنية إضافة إلى وجوده في البلاغة العربية، وقد تختلف المسميات لكنها كلها بمعنى واحد، فهو مثلا في الخط العربي، يتمثل في رسم الكلمة حين تكتب موصولة الحروف أو مفصولا بعضها عن بعض.[1]

وعلم القراءات، هو عماد الفصل والوصل، وهو العلم الذي أعار المصطلح للبلاغة، لأن المجال متصل، فما كتب يحتاج إلى الفصل أو الوصل ليقرأ بعيدا عن اللبس، وليفهم ويتذوق بعيدا عن الغموض والجفاف. [2]

الفصل والوصل اصطلاحاً:

---

[1] ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر.مادة (ف ، ص ل).

[2] المرجع السابق، مادة وصل (115/6).

[1] الزركشي، البرهان في علوم القرآن، 417/1 تحقيق محمد أبو الفضل، ط2، بيروت.

[2] سلطان، د. منير ، الفصل والوصل في القرآن الكريم، ص 15، ط2، منشأة المعارف- الإسكندرية.

عرف بأنه: العلم بمواضع العطف أو الاستئناف، والتهدّي إلى كيفية إيقاع العطف في مواقعه أو تركه عند عدم الحاجة إليه.[3]

وقالوا: الفصل: هو قطع معنى من معنى بأداة لغرض بلاغي[4]، والوصل، ربط معنى بمعنى بأداة لغرض بلاغي[3]. أو الفصل هو ترك العطف بين الجملتين، والوصل: هو عطف الجملة على الجملة بأحد حروف العطف وهو الواو"[5].

وإنما اختص حرف الواو وحده في هذا الباب، لأن حروف العطف الأخرى لها مع دلالتها على العطف معنى آخر، فالفاء تدل على الترتيب والتعقيب، وثم للترتيب مع التراخي، و أو للتخيير أو الشك، و بل للإضراب، و (حتى) للغاية، ولكن الواو وحدها ليس لها معنى آخر، ومن هنا اختصت بمبحث الفصل والوصل [1]. فإذا قلت "جاءني زيد وعمرو" لم تفد بالواو شيئا أكثر من إشراك عمرو في المجيء الذي أثبته لزيد[2].

أهمية الفصل والوصل

هذا المبحث من المباحث المهمة في علم البلاغة، وفي البيان العربي كله، ولعله من أقدم المصطلحات التي تنبه لها العلماء، أما إدراك مواطن الفصل والوصل، فقد كان سليقة لغوية عند العرب، وقد جاء في الأثر حين سأل أبو بكر الصديق رجلا: أتبيع هذا الثوب؟ فقال الرجل: "لا عافاك الله" فقال أبو بكر: لقد علمتم لو كنتم تعلمون قل لا وعافاك الله"[3].

يقول الجرجاني في أهمية هذا العلم "اعلم أن العلم بما ينبغي أن يُصنع في الجمل من عطف بعضها على بعض أو ترك العطف فيها، والمجيء بها منثورة، تستأنف واحدة منها بعد أخرى، من أسرار البلاغة، ومما لا يتأتى لتمام الصواب فيه إلا الأعراب الخُلص. وإلاّ قوم طبعوا على البلاغة، وأوتوا فنا من المعرفة في ذوق الكلام، هم بها أفراد، وقد بلغ من قوة الأمر في ذلك أنهم جعلوه حداً للبلاغة، فقد جاء عن بعضهم أنه سئل عنها، فقال: معرفة الفصل من الوصل، ذاك لغموضه ودقة

---

[3] المراغي، أحمد مصطفى، علوم البلاغة، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002م، ص 193.
[4] سلطان، د. منير، الفصل والوصل في القرآن الكريم، ص 31.
[5] المرجع السابق، ص 31.
[4] عباس، د. فضل حسن عباس، البلاغة فنونها وأفنانها (علم المعاني)، دار النفائس ، عمان ط 12 ،1429-2009 ، ص 406.
[1] مرجع سابق، ص 411.
[2] الجرجاني ،عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص 224،تحقيق:محمود محمد شاكر ،مكتبة الخانجي ،القاهرة .
[3] الجاحظ، أبو عثمان، البيان والتبيين (219/1).

مسلكه، وأنه لا يكتمل لإحراز الفضيلة فيه أحد، إلا كمل لسائر معاني البلاغة[1].

ويقول المراغي: "الفصل والوصل هو العلم بمواضع العطف أو الاستئناف والتهدي إلى كيفية إيقاع حروف العطف في مواقعها، أو تركها عند الحاجة إليها، وذلك صعب المسلك لطيف المغزى كثير الفائدة، غامض السر، لا يوفق للصواب فيه إلا من أوتي حظا من حسن الذوق وطبع على البلاغة، ورزق بصيرة نفاذة في إدراك محاسنها، ولصعوبة ذلك جعل حدا للبلاغة، ألا ترى إلى بعض البلغاء وقد سئل عن البلاغة فقال: هي معرفة الفصل والوصل، فجعل ما سواه تبعا ومفتقرا إليه، وليس بالخفي أنه لم يرد بذلك إلا التنبيه على غموضه وجليل خطره، وأن أحدا لا يكمل في معرفته إلا كمل في سائر فنونها، فإن سبك الكلام وقوة أسره وشدة تلاحم أجزائه تحتاج إلى صانع صنع وحاذق ماهر، يبين بين أقسام الجمل التي تفصل والتي توصل، فيرى الفرق واضحا بين جملتين تمتزجان حد الامتزاج حتى كأن إحداهما الأخرى، وجملتين لا تناسب بينهما، فإحداهما مُشئمة – أي في ناحية الشام - والأخرى معرقة، وجملتين هما وسط بين الأمرين، فيحكم بوجوب الفصل في النوعين الأولين، والوصل في النوع الثالث[2].

ولا بد من أن نبين أن البلاغة "استثمار لمعاني النحو، والتماس لأسرار التراكيب المصممة على السنن النحوي، وما البلاغة إلا علاقات النحو في صورة راقية من التعبير، ثم إن في النحو أن غيره لا يمتنع - حين يقتضي المقام- أن تكون الجملة المؤكدة معطوفة بالواو، والأصل كمال الاتصال، وهو اقتضاء قوي يخرج من عموم القاعدة، وهي أن الشيء لا يعطف على نفسه، تأمل قول الله: " إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾" [النمل: 34]. والجملة تأكيد يبين أن ذلك الإفساد عادة ثابتة مستمرة لا تتغير". [1]إن هذه الجملة هنا جاءت تذييلا لما سبق، والتذييل هو تعقيب الجملة بجملة أخرى متفقة معها في المعنى تأكيدا للجملة الأولى. والذي لا شك فيه هذه الصلة الوثيقة بين علم النحو وعلم البلاغة كما بينه عبد القاهر الجرجاني رحمه الله.

إن قضية الفصل والوصل من القضايا التي ترتكز على الذوق البياني، لما لها من صلة بالمعنى المراد، فكم من متكلم أفسد معناه بالوصل، والموضع موضع فصل، أو أفسد كلامه بالفصل، والموضع يحتاج إلى وصل، وقد كان يعتمد على الذوق قبل

---

[1] الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص 222.

[2] المراغي، علوم البلاغة، مرجع سابق، ص

[1] دراز، د. صبّاح عبيد، أسرار الفصل والوصل في البلاغة القرآنية، مطبعة الأمانة، ط1، 1476هـ- 1986م، ص 90.

أن توضع له القواعد والضوابط، على يد عبد القاهر الجرجاني، الذي أبان أسراره، وأثراه بالأمثلة والنصوص ذات الصلة بالسليقة اللغوية وحقيقة البيان العربي[2].

أسباب الفصل والوصل:

حدد علماء البلاغة للفصل أسبابا خمسة سأذكرها بإيجاز:

الأول: أن تتحد الجملتان اتحادا تاماً، وذلك بأن تكون الجملة الثانية مؤكدة للأولى، من ذلك قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّـهِ مَا هَـٰذَا بَشَرًا إِنْ هَـٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿ ٣١﴾" [يوسف: 31]. فقد نفت النسوة البشرية عن يوسف عليه السلام، وهنَّ يردن مدحه، وهذا لا معنى له إلا أنهن يدخلنه في زمرة الملائكة، ومن هنا جاءت ﴿إِنْ هَـٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾ مؤكدة للجملة السابقة.

وقد تكون الجملة الثانية بدلا من الجملة الأولى، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ﴾ [الرعد:2]، وذلك لأن تفصيل الآيات جزء من تدبير الأمر.

وقد تكون الجملة الثانية عطف بيان على الأولى، كقوله تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿ ١٢٠﴾ [طه : 120] حيث جاءت جملة: ﴿قَالَ يَا آدَمُ﴾ مبينة وموضحة للوسوسة. وقد سموا هذا النوع (كمال اتصال).

الثاني: أن تأتي الجملة الثانية جوابا عن سؤال فهم من الجملة الأولى، وسموا هذا (شبه كمال اتصال) كقوله تعالى: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي ۚ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ [يوسف: 53].حيث جاءت ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ إجابة عن سؤال فهم من قوله ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي﴾ فكأنه قيل: ولم لا تبرئ نفسك ، أو لم لا تبرئي نفسك ؟

الثالث: ما سموه بكمال الانقطاع، وهو أن تختلف الجملتان خبرا وإنشاء، أو تتفقا، ولكن لا يكون بينهما جامع أو رابط. ومثلوا له بقوله تعالى: ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّـهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: 60] فـ ﴿ وَأَعِدُّوا﴾ جملة إنشائية و ﴿تُرْهِبُونَ﴾ جملة خبرية.

الرابع: شبه كمال الانقطاع، وهو أن تسبق جملة بجملتين، يجوز عطفها على الأولى منهما، ولا يجوز عطفها على الثانية، فنترك العطف حتى لا يتوهم عطفها على الجملة الثانية ومثلوا له بقول الشاعر:

وتظن سلمى أنَّني أبغي بها بدلاً أُراها في الضّلال تهيمُ

ففيه ثلاث جمل: (تظن سلمى)، (أنني أبغي بها بدلا)، (أراها في الضلال تهيم) ولا

[2] انظر البلاغة، فنونها، وأفنانها، ص 407، مرجع سابق.

مانع من أن تعطف، هذه الجملة الأخيرة على الجملة الأولى، ولكن الذي لا يجوز عطفها على الجملة الثانية.

الخامس: التوسط بين الكمالين، ومعنى ذلك أننا يجب أن نفصل بين الجملتين، إذا كان الوصل يخل بالمعنى، وذلك لأن العطف يغير المعنى، ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴿ ١٤﴾ اللَّـهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ " [البقرة: 14، 15] فلو عطف ﴿ اللَّـهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ لكان من كلام المنافقين، ويكون المعنى أن الله يستهزئ بالمؤمنين.

ويرى الدكتور فضل حسن عباس بعد أن ذكر أسباب الفصل، أن شبه كمال الانقطاع لم يذكره الشيخ عبد القاهر الجرجاني – رحمه الله- بل ذكره المتأخرون.. ويقول "وهذه التسميات كلها لم يذكرها الشيخ – رحمه الله- في الدلائل- يعني كمال الاتصال، وكمال الانقطاع، والتوسط بين الكمالين، وشبه كمال الاتصال، وشبه كمال الانقطاع- وهذه قسمة عقلية.. وأنت خبير بأن أمر البلاغة لا ينبغي أن يخضع لهذه القسمة العقلية.[1]

أسباب الوصل: حددوا له سببين اثنين:

الأول: أن تتفق الجملتان خبرا أو إنشاء، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٖ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلۡفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٖ ﴿١٤﴾ ﴾[الانفطار 13، 14].

الثاني: أن يكون الفصل مخلا بالمعنى كما مر معنا "قل لا وعافاك الله"[1].

الفصل الأول
مواطن الفصل في سورة إبراهيم عليه السلام

قلت من قبل إن قضية الفصل والوصل من القضايا التي ترتكز على فهم النص، ومن هنا؛ فإن المفسرين لم يتفقوا على تحديد مواطن الفصل في السورة، فقد يرى بعضهم أن جملة في الآية جاءت مستأنفة استئنافا بيانيا ، وقد يعدها بعضهم جملة حالية ، وقد يعد الجملة بدلا أو عطف بيان، حسب فهمه للنص القرآني، وهذا يدل على

[1] المرجع السابق، ص 436.

أن فهم النص هو الأساس في تفسير الآيات القرآنية. ومن هنا كان تحديد مواطن الفصل يقوم على تدبر الآيات الكريمة، وعلى التذوق للنص القرآني. وسأحاول في هذه الورقات بيان ما ورد في سورة إبراهيم من مواضع للفصل، ذاكرة أقوال المفسرين – إن وجدت- وسبب الفصل وتوجيه الآية الكريمة على ما أختاره في ذلك، والله ولي التوفيق.

1- قال تعالى: " كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿١﴾ [إبراهيم:1].

ذكر الزمخشري في تفسيره أن قوله "إلى صراط العزيز الحميد بدل من قوله إلى النور بتكرير العامل، كقوله: ﴿ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ ﴾ [الأعراف: 75] ويجوز أن يكون على وجه الاستئناف، كأنه قيل: إلى أي نور؟ فقيل: ﴿إلى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾[1].

بين الجملتين – إذاً - كمال اتصال، أو شبه كمال اتصال، فإن كون الجملة الثانية بدلا من الأولى، دليل على أنهما شيء واحد، والبدل هنا فيه فائدة كبيرة، وهي أن الله تعالى عبر عن الصراط المستقيم بالنور، والنور هو الذي لا تصلح الحياة إلا به، ففيه الهداية التي تبين طريق الحق وتظهره للناس، نور لأن الفكر لا يستضيء إلا به، صراط، لما فيه من سعة ويسر. ولكن أيهما أولى أن نجعل الجملة بدلا، أم أن نجعلها استئنافية؟ أي إجابة عن سؤال كأنه قيل: إلى أي نور؟ الذي أراه أن تكون الجملة بدلا، لأنه يجعل النور هو نفسه الصراط، فالقرآن نور كله، وقد أعيد "الجار" للبدل لزيادة بيان المبدل منه، اهتماما به، وتأكيدا للعامل"[1].

2- قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ۝٢ ﴾ [إبراهيم:2]

الذي أراه أن هذه الجملة يمكن أن تكون إجابة عن سؤال فهم من قوله ﴿وَوَيْلٌ لِّلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٢﴾ تقديره: من هم هؤلاء الذين استحقوا هذا الهلاك والعذاب الشديد ؟ فقال: ﴿الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ﴾ فهم يؤثرون الحياة الدنيا على الآخرة ، ويصدون عن سبيل الله، ويبغونها عوجا. ويمكن أن تكون الجملة بدلا – كما ذكر الألوسي- فيكون

---

[1] الزمخشري، محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ،(537/2) ،ط1 مطبعة الاستقامة ،القاهرة ،1365. والسمين الحلبي ،أحمد ابن يوسف ، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ،(66/7) دار القلم ،دمشق.

[1] ابن عاشور ، محمد الطاهر ، تفسير التحرير والتنوير (181/13) الدار التونسية للنشر ، 1984م.

محل موصول هذه الصلات الجر على البدل من الكافرين[2].

وعلى الوجهين يكون بين الجملتين فصل لشبه كمال الاتصال على القول الأول ، ولكمال الاتصال على القول الثاني.

ثم يقول سبحانه وتعالى: ﴿أُولَـٰئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿٣﴾﴾ [إبراهيم: 3] وبين هذه الجملة وما قبلها فصل ، ويبدو لي أن الجملة يمكن أن تكون إجابة عن سؤال تقديره ، ما نتيجة أولئك الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة ، ويصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا ؟ فقال: أولئك في ضلال بعيد، حيث عبر باسم الإشارة للبعيد، ذما لهم، ووصف الضلال بالبعيد؛ لأن المقصود به صاحبه، ووصف به لقربه منه ولأدنى ملابسة. وقال الألوسي: "...استئناف في موضع التقليل، وفيه تأكيد لما أشعر به بناء الحكم على الموصول، والمراد أنهم قد ضلوا عن الحق ووقعوا فيه بمراحل"[1].

3- قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴿ ٥﴾﴾ [إبراهيم: 5] ذهب المفسرون إلى أن قوله (أن أخرج قومك) تفسيرية ، جاءت مفسرة للرسالة[2]. فهما جملتان بينهما فصل، والجملة التفسيرية تأتي موضحة لما قبلها، وعليه وجب الفصل بين الجملتين.

4- قوله تعالى: " وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّـهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ ﴿٦﴾ [إبراهيم:6].

ذكروا أن قوله تعالى: ﴿إِذْ أَنجَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ يمكن أن تكون بدلا من النعمة، بدل الاشتمال[3] وعليه فإن بين الجملتين كمال اتصال وإن كان الذي يرجحه العلماء أن يكون ﴿إِذْ أَنجَاكُم﴾ ظرف للنعمة بمعنى الإنعام، أي اذكروا إنعامه عليكم ذلك الوقت[4].

أما جملة يسومونكم سوء العذاب، فقد تكون الجملة استئنافية، ونقصد الاستئناف البياني، كأن سائلا سأل، وما الذي كان يفعله فرعون بنا؟، فقال يسومونكم سوء العذاب، يذبحون أبناءكم، فبين الجملتين شبه اتصال. وجاء في المنار[1] عند قوله تعالى " ﴿وَإِذْ أَنجَيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ ۖ يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ ﴿١٤١﴾﴾ [الأعراف: 141]". أن الجملة حالية أي حال كونهم يسومونكم سوء العذاب

---

(2) الألوسي ، السيد محمود ،روح المعاني في تفسير العظيم والسبع المثاني(،183/13) ،إدارة الطباعة المنيرية.

(1) الألوسي، السيد محمود، روح المعاني(184/13)

(2) الدر المصون (70/7).

(3) الدر المصون (71/7)

(4) الكشاف (367/2)، الدر المصون (71/7).

(1) رضا، السيد محمد رشيد، تفسير المنار (102/9). دار المعرفة – بيروت ،ط2 .

، بجعلكم عبيدا مسخرين لخدمتهم " .ولنا وقفة أخرى مع الآية الكريمة في باب الوصل.

5- قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ۛ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ ۛ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّـهُ ۚ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٩﴾﴾ [إبراهيم]

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ﴾ هذه الجملة قطعت عما قبلها، والخلاف بين المفسرين: أهي مستأنفة من كلام الله تعالى لأمة محمد ﷺ الذي أرسله بالقرآن الكريم، وقص عليهم قصص موسى عليه الصلاة والسلام مع أمته [2]. أم هي من تتمة كلام موسى عليه الصلاة والسلام لقومه؟ والذي يتسق مع السياق أن يكون من تتمة كلام موسى عليه الصلاة والسلام، قاله ليتدبروا مما أصاب من قبلهم من الأمم، فهو عليه السلام بعد أن ذكرهم بنعم الله تعالى، أمرهم بذكر ما جرى منه سبحانه من الوعد بالزيادة على الشكر والوعيد بالعذاب على الكفر، ثم شرع في الترهيب بتذكيرهم بما جرى على الأمم قبلهم.

وقوله تعالى: ﴿جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ هذه الجملة يمكن أن تكون حالية، أي ألم يأتكم نبأهم حال مجيء رسلهم بالبينات، والأولى- كما أرى- أن تكون جملة مستأنفة، كأنه قيل: ما بالهم؟ وما شأنهم؟ فقيل: جاءتهم رسلهم بالبينات. فبين الجملتين شبه كمال اتصال.

6- قال تعالى: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ ﴾ إبراهيم [آية 10] ، وهنا استئناف مبني على سؤال ينساق إليه المقام، كأنه قيل: فماذا قالت لهم رسلهم حين قابلوهم بما قابلوهم به، فأجيب بأنهم قالوا منكرين عليهم ومتعجبين من مقالتهم الحمقاء، أفي الله شك" [1].

قال الجرجاني "واعلم أن الذي تراه في التنزيل من لفظ "قال" مفصولا غير معطوف، هذا هو التقدير فيه والله أعلم، مثل قوله تعالى ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا ۖ قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿ ٢٥﴾﴾ [الذاريات: 24-25] جاء على ما يقع في أنفس المخلوقين من السؤال، فلما كان العرف والعادة فيما بين المخلوقين إذا قيل لهم: دخل قوم على قوم فقالوا: كذا، أن يقول: فما

---

[2] روح المعاني (192/13).

[1] روح المعاني (194/13)

قال هو: ويقول المجيب" قال كذا، أخرج الكلام ذلك المخرج، لأن الناس خوطبوا بما يتعارفونه، وسلك باللفظ معهم المسلك الذي يسلكونه"[2].

وجملة (يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم) حال من لفظ الجلالة (الله) أي يدعوكم أن تنبذوا الكفر ليغفر لكم ما أسلفتم من الشرك، ويدفع عنكم عذاب الاستئصال فيؤخركم في الحياة إلى أجل معتاد"[1].

وقوله "قالوا إن أنتم إلا بشر مثلنا" كذلك استئناف بياني، لما قال رسلهم ما قالوا، كأنه قيل: بماذا أجابوا رسلهم، أجيب: قالوا إن أنتم إلا بشر، ثم قيل: ماذا قال لهم رسلهم، قيل: قالوا لهم: إن نحن إلا بشر مثلكم.

7- قال تعالى: ﴿وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِّن وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ۖ وَمِن وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾ [آيتان 16، 17].

ذكر المفسرون أن قوله تعالى (ويسقى) معطوف على جملة محذوفة، مفهومة من السياق. قال الألوسي: "والأكثر على أنه عطف على مقدر جوابا عن سؤال سائل، كأنه قيل: فماذا يكون إذاً ؟ فقيل: يلقى فيها ما يلقى ويسقى من ماء صديد[2].

أما قوله (يتجرعه ولا يكاد يسيغه) فقد ذكروا فيه وجوها:

الأول: أن يكون صفه لـ "ماء".

الثاني: أن تكون حالا من الضمير في "يسقى"

الثالث: أن تكون مستأنفة[3].

قال الألوسي بعد أن ذكر هذه الوجوه ، والاستئناف أظهر ، وهو مبني على سؤال ، كأنه قيل: "فماذا يفعل به ؟ فقيل: يتجرعه ، أي يتكلف جرعه مرة بعد أخرى لغلبة العطش واستيلاء الحرارة عليه"[1]. وهذا هو الأرجح ، وذلك لأن هذا الكافر لا يسقى حالة كونه يتجرعه، فإنه يسقى تجرع أو لم يتجرع ، وكذلك لا يصلح أن يكون التجرع صفة للماء ، فإنه وصف لشارب الماء وليس للماء.

- قوله تعالى: ﴿ مَّثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴿ ١٨﴾ [الآية 18]. ذكروا في الآية وجوها إعرابية كثيرة ، اختار سيبويه[2] أن تكون ﴿ مَّثَلُ ﴾ مبتدأ

---

[2] دلائل الإعجاز، ص 240.

[1] ابن عاشور، الشيخ محمد الطاهر، التحرير والتنوير (199/13) الدار التونسية 1984.

[2] روح المعاني (202/13)، البحر المحيط (413/5).

[3] الدر المصون (81/7) البحر المحيط (413/5).

[1] روح المعاني (202/13).

، والخبر محذوف تقديره (فيما يتلى عليكم مثل الذين كفروا) وتكون الجملة من قوله ﴿ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ ﴾ مستأنفة جوابا لسؤال مقدر ، كأنه قيل: كيف مثلهم ؟ أو ما شأنهم ، فقيل: أعمالهم كرماد اشتد به الريح[3]

وذهب آخرون إلى أن (أعمالهم) بدل ، بدل كل من كل، فيكون المعنى: مثل أعمال الذين كفروا[4] أو بدل اشتمال[5]. وعلى هذه الآراء وجب الفصل بين الجملتين، على الأول لوجود شبه كمال اتصال، وعلى الثاني، والثالث، لكمال الاتصال، والرأي الأول أوجه وأبلغ.

وقوله ﴿لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ مستأنف كذلك، كأن قائلا قال، ما موقفهم عندما يرون أعمالهم هباء منثورا؟ قيل: لا يقدرون مما كسبوا على شيء، فبين الجملتين شبه كمال اتصال.

8- قوله تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّـهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى اللَّـهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٠﴾ (الآيتان 19، 20).

يقول ابن عاشور: استئناف بياني ناشئ عن جملة" فأوحى إليهم ربهم لنهلكن الظالمين" فإن هلاك فئة كاملة شديدة القوة والمرة أمر عجيب يثير في النفس السؤال: كيف تهلك فئة مثل هؤلاء؟ فيجاب بأن الله الذي قدر على خلق السماوات والأرض في عظمتها، قادر على إهلاك ما هو دونها فمبدأ الاستئناف هو قوله تعالى: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ إبراهيم: (١٩) ويأت بخلق جديد" وموقع جملة ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّـهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ موقع التعليل لجملة الاستئناف، قدم عليها كما تجعل النتيجة مقدمة في الخطابة والجدل على دليلهما.. ومناسبة موقع هذا الاستئناف ما سبقه من تفرق الرماد في يوم عاصف[1].

9-قوله تعالى ﴿ وَبَرَزُوا لِلَّـهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّـهِ مِن شَيْءٍ ۚ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّـهُ لَهَدَيْنَاكُمْ ۖ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴿٢١﴾.[آية 21].

وقد مر معنا من قبل أن جملة القول ﴿قَالُوا لَوْ هَدَانَا﴾ مستأنفة استئنافا بيانيا ، كأن سائلا سأل ، فبماذا أجاب الذين استكبروا ؟ قال: قالوا لو هدانا الله.

---

(2) الكشاف (547/2)

(3) الفراء، زكريا بن يحيى ، معاني القرآن (73/2). عالم الكتب – بيروت .

(1) التحرير والتنوير (214/3)

قوله تعالى: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ﴾ [آية 21] وهذه الجملة من كلام الذين استكبروا، وهي جملة مستأنفة استئنافا بيانيا، وكأن الضعفاء الذين ذكرتهم الآيات، يستفتون المستكبرين، أيصبرون أم يخدعون، طلبا للخلاص من العذاب، فأراد المستكبرون تأييسهم من ذلك، فقالوا: سواء علينا أجزعنا أم صبرنا "فلا يفيدنا جزع ولا صبر، ولا نجاة من العذاب"[1].

وجملة ﴿مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ﴾ تعليلية ، كأنهم يسألون ، م كان الصبر والجزع مستويين ، فقالوا: أنه لا نجاة لنا ولكم من الله تعالى في هذا اليوم، أو لأنه لا ملجأ لنا ولا مكان ننجو فيه من الله تعالى[2].

10- قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّـهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿ ٢٤﴾ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ اللَّـهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾. [إبراهيم: 24-26].

يقول ابن عاشور: "استئناف بياني اقتضته مناسبة ما حكي عن أحوال أهل الضلالة وأحوال أهل الهداية ابتداء من قوله: "وبرزوا لله" إلى قوله: "تحيتهم فيها سلام" ، فضرب الله مثلاً لكلمة الإيمان وكلمة الشرك ، فقوله: ألم تر كيف ضرب الله مثلا" إيقاظاً للذهن ليترقب ما يرد بعد هذا الكلام ، وذلك مثل قولهم: "ألم تعلم"[3].

وجملة ﴿مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾ جملة مؤكدة لقوله: ﴿اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الْأَرْضِ﴾ فكونها اجتثت لا أصل لها في الأرض ، فجاءت جملة ﴿مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾ مؤكدة لها ، وهذا يعني أن بين الجملتين كمال اتصال.

وجملة ﴿ يُثَبِّتُ اللَّـهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [الآية 27] ، مستأنفة استئنافا بيانيا ناشئا عما أثاره تمثيل الكلمة الطيبة بالشجرة الثابتة الأصل ، بأن يسأل عن الثابت المشبه به ، ما هو أثره في الحياة المشبهة ، فيجاب بأن ذلك الثبات ظهر في قلوب أصحاب الحالة المشبهة وهم الذين آمنوا ، إذ ثبتوا على الدين ، ولم يتزعزعوا فيه ، لأنهم استثمروا من شجرة أصلها ثابت[1]

12- قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّـهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ

---

(1) التحرير والتنوير (217/13)
(2) روح المعاني (207/13)، التحرير والتنوير (217/13).
(3) التحرير والتنوير (222/13).
(1) التحرير والتنوير (226/13).

﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا ۖ وَبِئْسَ الْقَرَارُ ﴿٢٩﴾ [الآية 28].

ذكروا في قوله تعالى ﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا ﴾ وجوها: [2]

الأول: أن تكون عطف بيان لقوله (دار البوار) والمعنى أحلوا قومهم دار الهلاك، وهذه الدار هي جهنم.

الثاني: أنها بدل من دار البوار.

وعلى هذين الوجهين، يكون إحلال القوم في الهلاك والخسران يوم القيامة.

الثالث: أن ينتصب على الاشتغال بفعل مقدر، يدل عليه الفعل المذكور، أي يصلون جهنم يصلونها. وعلى هذا الوجه تكون الجملة مستأنفة استئنافا بيانيا، كأنه لما ذكر أن الأسياد وأصحاب الشأن أفسدوا في الأرض، وأفسدوا غيرهم حيث أسكنوا قومهم دار الهلاك والخسران والذلة، لما ذكر ذلك كأن قائلا يقول: فماذا بعد البوار في هذه الدنيا، فقيل: جهنم يصلونها. وعليه فإن البوار يكون في الدنيا .والذي أختاره هذا القول الثالث، فإنه سبحانه بيّن بأن هؤلاء الأتباع الذين رضوا بأن يتحكم بهم أسيادهم - مع أنهم كان بإمكانهم عدم إطاعتهم،- كانت لهم نتيجتان: خزي وذل وخسران وهلاك في الدنيا، وعذاب جهنم في الآخرة.

ولا بد من الإشارة إلى أن الألوسي [3] قد رد هذا القول وقال :إن أبا حيان قد رده، وذلك لأنه لم يتقدم ما يرجحه، ولأن قوله تعالى: ﴿ قُلْ تَمَتَّعُواْ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ ﴾ [إبراهيم آية٣٠] ، يرد هذا التفسير ويرجح الأول.

الألوسي يستدل بهذه الآية "قل تمتعوا" على أن دار البوار هي جهنم، لأنه قال تمتعوا وكأنه لا يمكن أن يجمع بين البوار والتمتع، ولكن لم لا يكون التمتع في دوار البوار وخاصة للرؤساء؟ وإن قلنا الخطاب للجميع، فإن المرؤوس يتمتع بما يعده به رئيسه في هذه الدنيا إن هو أطاعه. وقريب من هذا قوله تعالى ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُم مِّنَ الْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُم مِّنَ الْإِنسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا﴾ [الأنعام: 128].

13- قوله تعالى ﴿ قُل لِّعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً ﴾ [الآية 31]. في هذه الجملة استئناف بياني، فقد ذكرت الآيات من قبل مثل الكلمة الطيبة، والكلمة الخبيثة، ثم ابتدأ بذكر الفريق صاحب الكلمة الخبيثة الذين بدلوا

[2] ذكر هذه الوجوه السمين الحلبي في الدر المصون 94/07) ورجح القول الثالث ابن عطية في المحرر الوجيز (3 /325)، وانظر روح المعاني (218/13) والتحرير والتنوير (229/13).

نعمة الله كفرا، وكأن سائلا سأل هذا حال الفريق صاحب الكلمة الخبيثة، فما بال الفريق الآخر صاحب الكلمة الطيبة، وما شأنه؟ وفي هذا من عامل التشويق ما فيه، فقيل: الفريق الآخر هم عباد الله تعالى الذين آمنوا، ولذا مرهم يا محمد بإقامة الصلاة والإنفاق مما رزقهم الله تعالى سرا وعلانية.

14-قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّـهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴿٤٢﴾. [الآية 42] وأرى بين الجملتين هنا فصلا، فالجملة الثانية "إنما يؤخرهم"... جاءت إجابة عن سؤال مقدر، وذلك أن إمهال الكافرين وتأخير عقوبتهم يشبه حالة الغافل عن أعمالهم، "ونفي الغفلة عن الله تعالى ليس جاريا على صريح معناه، لأن ذلك لا يظنه مؤمن، بل هو كناية عن النهي من استعجال العذاب للظالمين.[1] ومن هنا يسأل سائل، فلم لا تعذبهم وتعاقبهم على أعمالهم، ولم تتركهم يعيثون فسادا في الأرض، فقال: ﴿ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾.

15- قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿ ٤٤﴾. [الآية 44]. ذكرت الآية السابقة ما يقوله الذين ظلموا لله تعالى حينما يرون العذاب. ربنا أخرنا إلى أجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل... وهنا يخطر في البال سؤال ، بم أجابهم سبحانه على طلبهم ؟ فقال: قال لهم: "توبيخا وتبكيتا: ألم تؤخروا في الدنيا ، ولم تكونوا حلفتم إذ ذاك بألسنتكم بطرا وأشرا وسفها وجهلا ، ﴿ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴾ مما أنتم عليه من التمتع بالحظوظ الدنيوية. [1]

وأكتفي بما ذكرت في باب الفصل الأول، وقد يكون في السورة الكريمة مواطن كثيرة من مواطن الفصل ، يفتح الله تعالى بها على من شاء ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

---

[1] التحرير، والتنوير (246/13).

[1] روح المعاني (248/3)

الفصل الثاني
مواطن الوصل في سورة إبراهيم عليه السلام

ومواطن الوصل كثيرة في كتاب الله تعالى، وفي هذه السورة الكريمة، موضوع الدراسة، ولن أذكرها جميعها ،ولكني سأختار بعض المواضع التي تؤدي الغرض ،وتكشف عن الفكرة ،والتي يمكن أن يكون فيها نكتة ما ، حتى لا يطول البحث إن شاء الله تعالى.

1 - قوله تعالى ﴿الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّـهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ أُولَـٰئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿٣﴾﴾ [الآية 2].

ذكرت الآيات الكريمة صفات الكافرين، الذين أعد الله لهم العذاب الشديد، فهم أولا يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة، بمعنى أنهم آثروا هذه الحياة الدنيا وعملوا لأجلها، ولم يعملوا لليوم الآخر، هم لم يختاروا الدنيا فحسب، بل آثروها على الآخرة.

والصفة الثانية: يصدون عن سبيل الله، فهم يمنعون غيرهم من أن يتبعوا طريق الحق، فهم ضالون في أنفسهم، وهم مضلون لغيرهم كذلك.

والصفة الثالثة: "يبغونها عوجا" "يرى بعضهم أن مكسور العين (عوجا) يكون فيما ليس بمرئي كالآراء والأقوال والعقائد، وأن مفتوحها يكون في المرئيات كالأجساد والمحسوسات. [1] فهؤلاء الكافرون يؤثرون شهوات الدنيا على الآخرة، ويضعون العراقيل في طريق دعوة الحق، حتى يبتعد الناس عنها، وهم كذلك يطلبون الميل لهذه الدعوة، هم لا يكتفون بجر الناس عما هم فيه من حيث المسلك، ولكنهم يضعون العراقيل أمام الحق من حيث الفكر، يقول الإمام الرازي "واعلم أن الإضلال على مرتبتين:

المرتبة الأولى: أنه يسعى في صد الغير ومنعه من الوصول إلى المنهج القويم والصراط المستقيم.

المرتبة الثانية: أنه يسعى في إلقاء الشكوك والشبهات في المذهب الحق، ويحاول تقبيح صفته بكل ما يقدر عليه من الحيل، وهذا هو النهاية في الضلال والإضلال، وإليه الإشارة بقوله: ﴿ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ [الآية 2] [1]. إذن هي جمل ثلاث عطفت كل واحدة على الأخرى ، فهي تشترك في أنها صفات للكافرين ، وفي أنها جمل خبرية كذلك، وهنا وجب الوصل بينها.

---

[1] طنطاوي، سيد، التفسير الوسيط (مجلد ب، ج13، ص13) مطبعة السعادة 1403هـ-1983م.

[1] الرازي، الفخر (61/19).

2 - قوله تعالى "فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء" [الآية 4] والجملتان اتفقتا خبرا فوجب الوصل بينهما ، والجملة من (فيضل..) استئناف إخبار ، فالفاء ليست حرف عطف ، لأن إرسال الرسل عليهم الصلاة والسلام ليبينوا لا ليضلوا ، ولو قلنا: الفاء حرف عطف لكان المعنى أرسل الرسل ليبينوا ويضل الله. [2] وتقدمت الضلالة؛ لأنه الحديث عن الكافرين.

3 - (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا) [الآية 45] والواو حرف عطف، والجملة معطوفة على ما سبقها (وما أرسلنا...) وكل منهما جملة خبرية. وقوله: ﴿ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللَّـهِ﴾ [الآية 6]. بين الجملتين وصل، فالواو حرف عطف، وجملة ذكرهم معطوفة على (أخرج) وكل منهما جملة إنشائية.

4 - قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّـهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ... ﴾ [الآية 6].

وجاء في سورة البقرة ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿ ٤٨﴾ وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿ ٤٩﴾ [47-49]. وفي سورة الأعراف ﴿ وَإِذْ أَنجَيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ ۖ يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٤١﴾.

جاءت جملة يذبحون في سورة إبراهيم بالواو وفي سورة البقرة دون واو، وفي الأعراف اختبر لفظ التقتيل، دون التذبيح، وجاء الفعل غير مقترن بالواو.

يرى الخطيب الإسكافي [1] أن ﴿يذَبِّحُونَ﴾ في البقرة بدل من ﴿يسُومُونَكُمْ﴾ وعليه يكون بين الجملتين كمال اتصال، فوجب الفصل، وقد ذكر ابن عاشور أن البدل هنا بدل اشتمال [2]. وفي سورة إبراهيم عطف ﴿يذَبِّحُونَ﴾ على ﴿يسُومُونَكُمْ﴾ لأن المقام مقام تذكير بنعم الله عليهم[3].

وذهب ابن الزبير إلى أن سورة إبراهيم كانت مبنية على الإجمال والإيجاز وتغليظ الوعيد، ومن هنا كان قوله ﴿يسُومُونَكُمْ﴾ مشيرا إلى جملة ما امتحنوا به من فرعون وآله بكل أشكال العذاب، ثم جرد منها أشدها وأعظمها امتحانا فجيء به

---

[2] انظر الدر المصون (70/7).

[1] الخطيب الإسكافي، درة التنزيل وغرة التأويل، ص 13-14، دار الآفاق الجديدة، ط4، 1981م.

[2] التحرير والتنوير (191/13).

[3] درة التنزيل، ص 13، 14

معطوفا، كما أنه مغاير لما تقدمه فقيل ﴿وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾ فعيّن من الجملة هذا، وخصه بالذكر تعريفا بمكانته وشدة الأمر فيه وهو مما أجمل أولا"[1].

"ويفهم من كلام ابن الزبير أن ذكر (الذبح) بعد (سوم العذاب) هو من باب عطف الخاص على العام.[2] قال أبو السعود: وإنما عطفه على ﴿يسُومُونَكُمْ﴾ إخراجا له عن مرتبة العذاب المعتاد[3].

ويقول الدكتور فضل حسن عباس- رحمه الله- بعد أن ذكر الآيات، وبين سبب اختيار التذبيح تارة، والتقتيل تارة أخرى، يقول: "هذا السياق- سياق سورة إبراهيم- يدلنا على أن موسى عليه السلام إنما قال ما قال، بعد أن طفح الكيل، وبلغ السيل الزبى، ويشهد لهذا أسلوب الآية نفسها، يسومونكم سوء العذاب ويذبحون أبناءكم، بهذه الواو التي خلت منها الآيتان الأخريان، والفرق ظاهر بين وجود الواو وتركها، فقوله: "يسومونكم سوء العذاب يذبحون أبناءكم"، بلا واو معناه أن سومهم سوء العذاب يشتمل على تذبيح الأبناء، أما قوله ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾ فالمعنى يختلف فيه عن سابقه، ففي هذه الآية أمور ثلاثة، كل منها غير الآخر، الأول: سوم العذاب، الثاني: تذبيح الأبناء، الثالث: استحياء النساء، وهذا ما جاء في سورة إبراهيم عليه السلام، وهذا ما ذكر فيه موسى قومه في هذه السورة، ذكرهم بما كان يفعله فرعون، يسومونهم سوء العذاب أولا بالإذلال والضرب والإهانة، ويذبح أبناءهم ثانيا، وثالثا يبقي البنات على قيد الحياة، وهذا معنى يستحيي، حتى يصرن نساء للخدمة والإهانة... الواو جاءت بعد معاناة كثيرة، وجدها موسى عليه السلام منهم[1].

5- قوله تعالى ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ والجملة من قول موسى عليه السلام وهو معطوف على نعمة الله، والمعنى اذكروا نعمة الله تعالى عليكم، واذكروا حين تأذن ربكم أي آذن إيذانا بليغا، وأعلم إعلاما لا يبقى معه شبهة، لما في صيغة التفعل من معنى التكلف[2].

6 - ومن الوصل قوله تعالى: ﴿فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا

---

[1] ابن الزبير الغرناطي، ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه التشابه اللفظي من آي التنزيل، تحقيق سعيد فلاح، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1983، (201/1)،

[2] د. محمد الحوري، و د. منصور أبو زينة، الفصل والوصل في متشابه القرآن، بحث.

[3] أبو السعود، محمد بن محمد العمادي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت (34/5)، وانظر تفسير الرازي ،التفسير الكبير ،ط1 (66/19)

[1] عباس، د. فضل حسن، إعجاز القرآن المجيد، مخطوط.

[2] روح المعاني (190/13) والدر المصون (76/7).

أُرْسِلْتُم بِهِ﴾ [الآية 9] والجملتان متفقتان خبرا فجاءت الواو بين الجملتين، وكذلك قوله تعالى: ﴿ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ بين الجملتين وصل لاتفاقهما خبرا.

قوله تعالى: ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الْأَرْضَ مِن بَعْدِهِمْ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ [13-15] حيث وصل بين الجملتين ﴿لَنُهْلِكَنَّ﴾ و ﴿ لَنُسْكِنَنَّكُمُ﴾ وبين جملتي (استفتحوا وخاب)، ولكن علام عطفت ﴿خَابَ﴾ ؟ لا شك أنها لم تعطف على ﴿اسْتَفْتَحُوا﴾ ومعنى ﴿اسْتَفْتَحُوا﴾ طلبوا الحكم أو طلبوا النصر ، ولكن في الجملة إيجاز حذف ، حيث حذفت الفاء الفصيحة والمعطوف عليه ، والتقدير ﴿اسْتَفْتَحُوا﴾ ففتح لهم وظفروا بما سألوا وأفلحوا ﴿وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ وهم قومهم المعاندون[1].

وقد مر معنا أن قوله: ﭽ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﭼ [إبراهيم: ١٦] معطوف على محذوف تقدير: يلقى فيها ما يلقى ويسقى من ماء صديد.

ومن مواطن الوصل ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ ، وقوله: ﴿ إِنَّ اللَّـهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ﴾ [إبراهيم (27)] ، وقوله: ﴿فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم﴾ [إبراهيم (22)] ، وقوله: ﴿مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ﴾ [إبراهيم (22)] ، وقوله: ﴿يُثَبِّتُ اللَّـهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ اللَّـهُ الظَّالِمِينَ﴾ [إبراهيم (27)]وقوله: ﴿يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ [إبراهيم (31)] ، وقوله تعالى: ﴿ اللَّـهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ﴿٣٢﴾ وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّـهِ لَا تُحْصُوهَا ﴾. [الآيات 32-34].

7 - قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ ﴿ ٤٥﴾. [الآيات 44، 45]. في قوله ﴿نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ ﴾ جملتان وصل بينهما بحرف العطف الواو، وكلاهما جملة خبرية.

وقوله: ﴿أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُم ﴾ الواو حرف عطف، والجملة ﴿أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُم ﴾ معطوفة ، ولكن أين المعطوف عليه ؟ ما عليه المفسرون أنه محذوف مفهوم من الآية،

---

[1] روح المعاني (201/3).

والمعنى: يقال لهم توبيخا وتبكيتا: ألم تؤخروا في الدنيا ولم تكونوا حلفتم إذ ذاك بألسنتكم بطرا وأشرا وسفها وجهلا، ما لكم من زوال مما أنتم عليه من الحظوظ الدنيوية[1].

ويرى بعضهم أن الجملة معطوفة على ما قبلها، وتقدير الكلام: "ربنا أخرنا إلى أجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل وألم تكونوا أقسمتم. والجملتان إنشائيتان فكان بينهما وصل، وعلى هذا القول تقدمت الهمزة على حرف العطف، لأن لها الصدارة في الكلام.

والذي أراه أبلغ وأليق بالنظم القرآني، القول الأول، الذي لا يضطرنا إلى أن نقدم ونؤخر في كلام رب العزة، أما الحذف فهو من باب الإيجاز وهو بلاغة في القرآن الكريم.

وبين قوله "أقسمتم... وسكنتم" وصل حيث يفهم من الجملة توبيخ أولئك الذين ظلموا، الذين لم تحدثهم أنفسهم بأنهم سينقلون إلى يوم القيامة، وهم قد سكنوا في مساكن الظالمين قبلهم، فلو دامت الدنيا لمن قبلهم ما آلت إليهم.

وأكتفي بما ذكرت، وأرجو أن أكون وفقت فيما كتبت، سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

[1] روح المعاني (248/3)

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق والمرسلين، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. وبعد

فقد عشنا مع آيات السورة الكريمة ، سورة إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، مع مواطن الفصل والوصل فيها ، وبعد هذا التطواف ، أذكر بعض النتائج التي خلص إليها البحث:

أولا: من نعم الله تعالى على الدارس لكتاب الله أنه يعيش في ظلال آيات القرآن الكريم، وأنه يشرف بخدمة لغة القرآن، وهذه لعمري نعمة لا يعلمها إلا من تذوق حلاوة القرآن الكريم.

ثانيا: يُعدُّ موضوع الفصل والوصل من أدقِّ موضوعات علم البلاغة وأعمقها، لما يحتاج الناظر فيه من إدامة النظر، وإطالة الوقوف أمام النصوص للكشف عن سر فصلها ووصلها.

ثالثا: إن لحروف العطف في القرآن رسالة كبيرة، وأثرا عظيما في إثراء المعاني القرآنية، ومن أهم هذه الحروف الواو.

رابعا: إن علل الفصل والوصل كثيرة في آيات الكتاب العزيز، ولذا فهو مظهر من مظاهر الإعجاز القرآني.

خامسا: إن الدراسات التطبيقية لعلوم البلاغة على الآيات القرآنية من أهم الوسائل التي تؤدي إلى الفهم الصحيح لآيات الكتاب العزيز ،واختيار المعنى الملائم للسياق القرآني.

سادسا: أسباب الفصل في الآيات الكريمة متعددة منها كمال الاتصال كأن تكون الجملة الثانية مؤكدة، أو مفسّرة للجملة الأولى. وشبه كمال الاتصال كأن تكون الجملة الثانية مستأنفة استئنافا بيانيا، وغير ذلك، ولا شك أن هذا الموضوع يظهر الإعجاز في كتاب الله تعالى.

سابعا: جاءت أسباب الوصل لعلل معنوية منها التشريك في الحكم، أو لتقوية المعنى، أو تكريما للمخاطب أو توبيخا له. أو إظهاراً لمنن الخالق – عز وجل- ونعمه وغير ذلك.

ثامنا: حاولت الباحثة بيان بعض المعاني للآيات، التي ما كانت لتظهر لولا الكشف عن موضوع الفصل والوصل.